

اجتهادات سقوطُ لا قيامٌ بعده

لم يظهر زيف شعارات حقوق الإنسان فى الخطاب السياسى لحكومات الدول الغربية الأكبر بمقدار ما تجلّى فى موقفها الموحد دعمًا لجرائم حرب وأخرى ضد الإنسانية تُرتكب فى غزة كل يوم جهارًا نهارًا. لم تسقط هذه الحكومات فقط فى الوحل، بل أسقطت معها منظومة مبادئ ناضل ملايين البشر فى العالم كله من أجل إقرارها فى مواثيق دولية منذ الإعلان العالمى لحقوق الإنسان، وفى السعى للمحافظة عليها. لن يُصدّق أحدٌ فى العالم فى الفترة المقبلة أى كلامٍ عن هذه المبادئ. ولن تتمكن الحكومات الأكثر استخدامًا لها فى سياستها الخارجية من مواصلة أكاذيب الدفاع عنها هنا أو هناك. لن يكون فى إمكانها، مثلاً، أن تواصل اتهاماتها لروسيا بالاعتداء على أوكرانيا، بعد أن مزّقت ما كان باقياً من قانونٍ دولى بمساندتها الكاملة لإجرامٍ منقطع النظير. ولن تتمكن من استخدام المبادئ، التى تنتهكها كل يومٍ منذ 7 أكتوبر، فى نقد الحكومة الصينية وشن حملات سياسية عليها. سيكون جو بايدن مُضحكًا أكثر من أى وقت مضى إذا وصف الرئيس بوتين مرةً أخرى بأنه "طاغية". وسيكون من

أسهل الأمور بالنسبة للروس، فى هذه الحالة، الرد بطريقة بسيطة للغاية من نوع أن المجرمين، أيًا يكونون، لا يحق لهم أن يتحدثوا عن طغيانٍ أو استبداد. فالأذى المترتب على الطغيان، فى أى مكانٍ فى الكوكب، لا يؤدي إلى مثقال ذرة من الآلام والأوجاع المهولة المتواصلة فى قطاع غزة بفعل جرائم القتل الممنهج والتدمير المنظم والترويع المستمر. قضى حُكام الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا، وكل من يُشاركهم مساندة الإجرام الصهيونى، على حلم الحرية والتحرر. لكن المبادئ المرتبطة بهذا الحلم ستُنتشل فى وقتٍ ما من الوحل الذى أسقطوها فيه، لأنها ليست ملكًا لمن كشفوا كل ما كان مخفيًا عن حقيقتهم. أما هم فقد سقطوا سقوطًا لا قيام بعده، ومعهم بلادهم إلى أن تتغير المعادلات السياسية التى ترفع أمثالهم إلى السلطة، ويُتاح لأحرارٍ فى هذه البلاد تصحيح ما أفسدوه .. أحرارُ أدانوا الإجرام ووقفوا مع الحق، فلنبق معهم غدًا.